مقتل السيد الوزير

كان وراء الشعبية الهائلة التى اكتسبها « بيير شفالييه » قصة نجاح مشرفة ، نشأ « بيير » فى أسرة تتمتع بالثراء العريض ، وانضم فى مستهل حياته فى صفوف الجيش الفرنسى ، وعمل كطبيب أثناء الأشهر الأولى للحرب العالمية الثانية ، وكنتيجة لما حققه من شجاعة وبسالة فى الخدمة الوطنية وفى علاج الجنود ، تم تقليده وساما ، وعندما تمكن الجنود الألمان من الاستيلاء على أورليان موطنه الأصلى ، تابع شفالييه القيام بمهامه الطبية أثناء النهار ، ولكنه فى المساء ترأس المقاومة الشعبية ، وقبل وصول قوات الحلفاء لتحرير المدينة كان « بيير شفالييه » قد أظهر من البسالة وحسن القيادة ما جعله يتمكن من طرد الألمان .

عين « شفالييه » محافظًا لأورليان ، ولم يتجاوز عمره الثلاثين وانغمس بكل ما لديه من حب للسلطة فى غمار ما دمرته الحرب ، وأظهر فى هذه المعركة براعة فائقة حتى تم اختيار أورليان كأحسن مدينة تمت إعادة بنائها فى فرنسا ، وبعدها أصبح شفالييه عضوًا فى البرلمان ممثلاً عن هذه المقاطعة ، وفى أغسطس ١٩٥١م حقق شفالييه شرفًا كبيرًا ، وهو لم يتجاوز الأربعين من عمره فى حكومة رينيه بليفن .

وفى اليوم التالى عاد « بيير شفالييه » من باريس إلى « أورليان » كوزير وهو يركب سيارة ليموزين سوداء كبيرة يرفرف عليها العلم ... وكان فى استقباله احتفال رسمى أعدته زوجته إيفون ، حيث وقفت فى انتظاره عند باب المنزل ، وحثت ابنها الصغير « ماثيو » على الاندفاع نحو والده وهو يهتف صباح الخير ... سيدى الوزير ، انطلق الصغير فى فرح إلى باب

المنزل لاستقبال والده فى ترحاب شديد ، واندفع الوالد لاحتضان ومعانقة ابنه فى شوق وحنان شديدين ، ومع ذلك واجه زوجته فى فتور بالغ .

صعد « شفالييه » سلم المنزل الداخلى فى الاتجاه نحو حجرة النوم لتغيير ملابسه ، وتابعته زوجته ، وسمع صوت شجار عنيف أعقبه صوت طلقات نارية حيث أطلقت « إيفون » أربع طلقات نارية من – مسدس آلى عيار ٧,٥٦ سم نحو زوجها ، وأردته قتيلاً ، وفى أسفل السلم كان المنظر دراميًّا ومؤثرًا ، سمع « ماثيو » الطلقات النارية وبدأ فى الصراخ ، عادت إيفون بسرعة لتهدئة طفلها ، ثم وضعته فى حراسة خادمتها ، وانطلقت بسرعة عائدة نحو حجرة النوم ، وأعقب ذلك سماع صوت الطلقة الخامسة حيث انغرست فى جثة زوجها المسجاة على الأرض .

وهكذا تمتع « بيير شفالييه » بكرسى الوزارة لمدة يوم واحد فقط، وبسرعة شاع الخبر بين الناس وعرفت فرنسا كلها أن وراء النجاح المذهل ، والبريق الهائل لبير شفالييه تختفى قصة بائسة لحياة زوجية فاشلة .

تزوج « بيير » من « إيفون » قبل الحرب ، ووقتها كانت مجرد ممرضة ريفية المنشأ ، تعمل تحت رئاسة طبيب صغير السن نابه ذى نبوغ وشهرة ، ومن البداية اعتبرت عائلة شفالييه أن هذا الزواج محكوم عليه بالفشل ، وأنه مجرد نزوة وخطيئة لم يتوقع أى فرد من أفراد الأسرة أن تصدر من نجمهم اللامع .. والواقع أن « إيفون » كانت تفتقر لكثير من المواهب ، حيث اعتادت الجلوس معقودة اللسان فى جميع الحفلات ، وعندما يحتدم النقاش فى مثل هذ المقابلات الصاخبة ، تبدأ هى على الفور فى السقوط فى دوامة هائلة من الصمت ، تلجم لسانها وتجعلها تبدو كفتاة بلهاء غبية ، والواقع أن إيفون أحبت زوجها بجنون إلا أنه بمرور الأيام تزايدت المسافة بينها وبين زوجها ، واتسعت الفجوة بينهما ، وأساءت الجفوة العلاقات بينهما وفتحت أبواب الجحيم عندما سقط أحد طفليها فريسة للمرض ، وفى الحال تم نقل سرير هذا

الطفل إلى حجرة الزوجية ، واعتاد الزوج النوم فى حجرة المكتب ، وبعد شفاء الطفل استمر الحال على ما هو عليه ولم يعد الزوج أبدًا إلى فراش الزوجية ، واستمرأ النوم منفردًا بعيدًا عن زوجته .

نمت بذور الشك فى عقل إيفون صباح أحد الأيام أثناء تفتيشها فى جيوب زوجها ، حيث عثرت على خطاب غرامى ملتهب موقع ممن تسمى بجانيت ، وخمنت على الفور أنها زوجة أحد أصدقاء الأسرة المقربين والمعروف باسم « ليون بيرو » ، والذى يصغر عن زوجته بخمسة عشر عامًا .

قامت « إيفون » على الفور باعتداء أخرق استطاعت بعده الحصول على نموذج من كتابات جانيت ، واستمرت فى تصرفاتها الحمقاء بمواجهة العشيقة وجهًا لوجه بما توصلت إليه من معلومات ، إلا أن جانيت أنكرت على الفور هذه العلاقة الغرامية واستنكرتها ، وعادت إلى منزلها على الفور ، أما شفاليه طلب من زوجته أن تقفل فمها نهائيًا وألا تشغل عقلها بهذا الموضوع بصفة قطعية ، وأن تركز اهتماماتها المستقبلية فى شئونها الخاصة دون الالتفات لهذه المسألة .

كانت « جانيت » زوجة لرجل واسع الجاه والثراء ، وعلاوة على ذلك فهى تتمتع بشعر أحمر غزير وافر النعومة ، وبوجه ذى ملامح دقيقة مفرطة الجمال ، كما أنها ذكية رفيعة الثقافة ، سريعة الخاطر ، لماحة حلوة النكتة وباختصار كانت تتفوق على إيفون فى كل ما أثبتت فيه الأخيرة فشلاً ذريعًا .

وفى يونيو ١٩٥١م فاز « بيير » بمقعد البرلمان ، وأقام لهذه المناسبة حفلاً صاخبًا ، وفيه شاهدته زوجته وهو يغازل عشيقته صراحة وبشكل معلن استفزازى ، وعندما حاولت إيفون تقبيل زوجها ، قابلها بجفاء شديد وأبعدها أمام كل الحاضرين .

وشهدت هذه الأمسية شجارًا صاخبًا بين الزوجين إذ طلبت « إيفون »

من زوجها تفسيرًا واحدًا معقولاً .. وتوسلت إليه أن يعود إلى فراش الزوجية وأجابها الزوج بفظاظة ووحشية أنه لا يكره ممارسة الحب معها وحسب ، بل ويعتقد أنه غير قادر حتى على الجلوس معها ومبادلتها الغرام ، وأنها أصابته بالخزى والعار فى حفل العشاء .. وأنهى الموضوع حين صرخ فى وجهها وهو يبكتها ويوبخها ، هل رأيت نفسك حقيقة ليلة مأدبة العشاء فى باريس ؟ ثم صارحها برغبته فى الطلاق ، ولكن « إيفون » قابلت هذا الطلب باعتداء وحشى ، ورفضت مجرد التفكير فى هذا الأمر ، وتوسلت إليه قائلة : إنها تحبه أكثر بكثير مما يتخيل أو يتصور .

ووصل الصراع فى هذه الأثناء إلى مرحلة اللاعودة وبدأت « إيفون » فى تناول العقاقير المنومة ، كى تجعل النوم ممكنًا ، ومما زاد الأمور تعقيدًا أنها بدأت فى تناول المنبهات ،التى جعلتها تبدو عصبية فى أغلب أوقات النهار ، وتناولت القهوة بكميات كبيرة ، وكثيرًا ما شوهدت وهى تدخن السجائر بشراهة ، وظهرت أمام الجميع فى حالة خطيرة من عدم الاتزان ، التى أفقدتها الإحساس بالمكان والزمان ، وانتقلت بوليدها فى إجازة على شاطئ البحر ، ومن هناك أرسلت لزوجها خطابًا غراميًا ملتهبًا ، وأخبرته أنها تعتزم القيام بمحاولات جادة لإثبات كفاءتها وجدارتها كزوجة لرجل مهم ، ولكن « شفاليه » لم يكلف نفسه عناء الرد ، وعند عودتها للمنزل تناولت « إيفون » السم بقصد الانتحار إلا أن المحاولة باءت بالفشل ، وأصابها اليأس لدرجة المرض ، تابعت إيفون خطوات زوجها فى باريس ، وحاولت مقابلته فى مكتبه بالبرلمان ولكن تم إخبارها عن طريق موظفى مكتب زوجها بأنه مشغول للغاية ، وبعدها فتشت « إيفون » بدقة عن مكان إقامة زوجها فى باريس من أجل إثبات خيانته ، ووجدت ضالتها المنشودة فى جدول مواعيد لخطوط السكك الحديدية ، حيث لاحظت أن زوجها اعتاد شراء تذاكر للقطار المتجه إلى شاتلجيون حيث يمارس علاقاته الغرامية المشبوهة .

عادت « إيفون » إلى « أورليان » وهى فى قمة الغضب وواجهت زوج

عشيقة زوجها بنتائج تحرياتها .. حاول « ليون بيرو » فى بداية الأمر تهدئة شكوكها ، ولكن عقب الزيارة الثانية اضطر للاعتراف بأنه على علم تام بهذه العلاقة المشينة ، ولكن « ليون بيرو » لم يكن من هؤلاء الأزواج الذين يتمتعون بالنخوة والشهامة ، ولم يكن يعنيه على الإطلاق تصرفات زوجته الحمقاء ، ولم يبد أى اهتمام نحو هذه العلاقة المشبوهة ، ولكن « إيفون » لم تكن أيضًا من هؤلاء الذين يستسلمون بسرعة أو ممن يخضعون لظروفهم الصعبة بسهولة .

عندما علم « بيير شفالييه » برحلة زوجته إلى باريس أمسك التليفون ، وخاطبها بلهجة جافة صارخًا فى وجهها عليك أيتها البقرة الحمقاء أن توقفى تدخلك الأحمق فى شئونى الخاصة » ، وعقب الانتهاء من هذه المكالمة ، وبعد مقابلة « ليون بيرو » حصلت « إيفون » على رخصة حمل السلاح واشترت مسدسًا ، ولم تجد « إيفون » أى صعوبة فى الحصول على رخصة السلاح فزوجها الآن أصبح وجهًا سياسيًّا مألوفًا ، ومن السهل إقناع الجميع أنه من الممكن فى مثل هذه الظروف أن يكون لزوجها أعداء يتسمون بالخطورة والشراسة ، وتوجهت على الفور إلى محل لبيع الأسلحة ، وطلبت شراء مسدس جيد الصنع كفيل بقتل من يصاب بطلقاته ، وأخيرًا حصلت على مسدس آلى .

لا شك أن معالم جريمة القتل أصبحت الآن راسخة تمامًا فى عقلها ، ولكن السؤال الآن .. تقتل من ؟ . وفى ١١ يوليو استمعت « إيفون » من خلال الراديو لنبأ تعيين زوجها وزيرًا ، وفى الحال أرسلت إليه برقية تهنئة ، وبعدها اتصلت بإحدى الراهبات وهى أخلص صديقة لها وأعلنت اعتزامها الانتحار ، ولاشك أن صديقتها نصحتها بالتأنى .. وأخيرًا اتصل « بيير » تلفونيا من باريس ، وأخبرها أنه قادم فى صباح اليوم التالى لالتقاط بعض الملابس ، ولم يوجه لها أى

كلمة شكر على برقية التهنئة ، ولاشك أن سلوكه الجاف فى هذه الليلة ممزوجًا بحالتها النفسية المرهقة ، ورغبتها فى الانتحار هى التى طفرت بفكرة القتل على السطح ، وهكذا اختمرت الفكرة فى ذهن « إيفون » .

قضت « إيفون » ليلة رهيبة وفى صباح اليوم التالى ، تصدرت صور « شفالييه » جميع الجرائد ، ولكن خلت جميع الأنباء عن ذكر أى شىء عن زوجة الفارس القادم خلافًا للعادة المتبعة فى مثل هذه الحالات ، ولاشك أن هذا التصرف ألهبها بمشاعر الحقد والضغينة ، ومع ذلك حشدت جميع قواها المتهالكة نحو ابنها « ماثيو » ، ولقنته عبارات الترحيب كى يقابل بها والده عند عودته « صباح الخير ... سيدى الوزير » .

تقدم « شفالييه » بسرعة واحتضن ابنه بشوق بالغ وصعد على السلالم دون توجيه أى كلمة لزوجته ، واتخذ خطواته نحو حجرة النوم وسأل زوجته أن تناوله فوطة نظيفة ، طلبت « إيفون » من زوجها تفسيرًا لعلاقته المشينة « بجانيت » ، أجابها شفالييه بفحش ، إنه بصدد الزواج من « جانيت » ، ثم استأنف قائلاً : « يمكنك أن تستمرى فى حياتك القذرة غارقة فى سخافاتك » ، ثم نظر إليها فى ترفع قائلاً « أنا الوزير » ، ولم يظهر على وجهه أى علامة تأثر عندما خرت « إيفون » راكعة تحت قدميه تتوسل إليه أن يحاول ولو مرة إعادة الوصل والوفاق ، ولكنه استمر فى بذاءته معلنًا أنها تسىء إلى سمعته ، وتلحق به فى كل مكان تذهب إليه الخزى والعار ، واستمر فى توجيه شتائمه وأخيرًا وأثناء اندفاعها نحوه لاستعطافه والتوسل إليه ضربته بيدها بقوة فى جسده وكانت هذه الحركة حافزًا قويًا لإثارته ، وانطلق صارخًا كيف تجرؤ هذه الحقيرة على دفعه ؟ وكيف تتجاسر على تحدى إرادة الوزير ؟ ، وانطلق لسانه بالكثير من البذاءات والكلمات السخيفة .

تصلبت « إيفون » فى مكانها وأخبرته أنه فى حالة إصراره على

علاقته المشينة « بجانيت » ، فهذا السبب كفيل بأن تقتل نفسها ، وأجابها « بيير » « حسن ، هيا أسرعى وسيكون هذا هو أول عمل مفيد قمت به فى حياتك كلها » ، وصرخت فى وجهه « إننى جادة » وأمسكت بمسدسها وقالت : « سأقتل نفسى ، قال « بيير » « أسرعى بحق السماء ، ولكن يحسن الانتظار لحين خروجى من الغرفة » ، وكانت هذه هى آخر كلمات لفظ بها شفالييه ، أقبلت « إيفون » نحوه بسرعة وأخذت فى إطلاق النار أثناء سيرها فى اتجاهه ، وأصابته الطلقات فى رجله – ذقنه ، صدره وفى جبهته ثم اندفعت نحو السلم فى محاولة منها لإسكات طفلها وتهدئته ، ثم عادت إلى حيث توجد جثة زوجها .

وما حدث بعد ذلك يشوبه الكثير من الغموض ... . ووفقًا لرواية إيفون الخاصة أنها وقفت عند جثة زوجها معتزمة الانتحار ، ولكن راودتها بعض الأفكار حول مستقبل طفليها ، الأمر الذى شل حركتها ، وعندما نهضت من جانب الجثة انطلقت الرصاصة الخامسة بطريق الصدفة واخترقت جثة زوجها المسجاة .

اجتاح فرنسا شعور عام بالغضب لمقتل بطل الحرب الشاب الطموح ، الذى ما إن بدأت صفحته الخلاقة فى العمل الوزارى حتى قُتِل على يد زوجته الثرثارة وكثيرة الشكوى على حد تعبير الصحف .

وازدادت مشاعر الغضب فى موطن رأسه « أورليان » حتى اضطرت السلطات إلى عقد المحاكمة فى بلد آخر بعيدًا عن مشاعر سخط الجماهير .

ولكن عند بدء المحاكمة ، وتعاقب الجلسات تغيرت الصورة كثيرًا ، ويرجع ذلك فى المقام الأول إلى المظهر المأساوى الذى بدأ على وجه « إيفون » فى قفص الاتهام ، حيث كسا وجهها قناعًا كثيفًا من الألم ، وظهرت عيونها بائسة مجهدة غارقة فى الكرب والندم ، وظلت طوال

الوقت مشغولة فى اضطراب بالغ فى حل وعقد منديل فى يدها بطريقة آلية ، وعلى العكس من ذلك ظهرت « جانيت » فى صورة أنيقة وهى تقف كشاهدة فى ساحة المحكمة ، كما ظهر زوجها « ليون بيرو » فى موقف مُخزٍ كزوج للعشيقة !! ، وظهر للعيان ومن اللحظة الأولى أن الزوج على علم تام بكل ما فعلته زوجته من تاريخ أول ليلة قضتها الزوجة فى مخدع عشيقها ، ودامت هذه العلاقة الآثمة مدة خمس سنوات كاملة ، وطوال هذه المدة لم يظهر « ليون » أى علامة من علامات الاعتراض ، أو عدم القبول بل والأكثر نكاية أنه كان دائم المداهنة شديد التقرب من السيد المحافظ ، وتكشفت فى جنبات المحكمة أن أخا الزوج نال وسامًا ، بناءًا على توصية شخصية من شفالييه .

ونتيجة لهذه المعلومات المثيرة تحول الشعور للرأى العام تجاه الزوجة المخدوعة ، ونالت عطفًا عامًا من أفراد الشعب ، واتجه مسار الدعوى نحوًا آخر ، فيه الكثير من التساهل والتسامح ، ومن أمثلة ذلك أن أحدًا لم يوجه للزوجة أى سؤال لمحاولة الكشف عن الغموض الذى أحاط بظروف انطلاق الرصاصة الخامسة ، ولا شك أن الإجابة عن هذا السؤال كان كفيلاً بتحويل مسار التحقيق من جريمة قتل عادية إلى جريمة قتل مقرونة بسبق الإصرار والترصد ، وهكذا تحول الشكل العام للاتهام فى عريضة الدعوى .

انتقل المحلفون إلى غرفة المداولة واستغرقت الجلسة أقل من ساعة ، وأثار أحد الأعضاء سؤالاً فى المحكمة حول كنه الحركة البذيئة التى قام بها « شفالييه » ، والتى أثارت المتهمة ، ودفعتها للإمساك بمسدسها وإطلاق الرصاص ، وعند توجيه السؤال انخرطت « إيفون » فى بكاء هستيرى .

وبدا الآن واضحًا أن السلطات قد وقعت تحت تأثير الرأى العام المتعاطف مع المتهمة . وساد الجميع شعورًا عامًا بأن « إيفون » تعرضت لاعتداء

وحشى وضغوط نفسية ، وهكذا تم تبرئة ساحتها من المحكمة حرة ونالت براءتها ، وسط مشاعر الابتهاج والسرور من الجماهير التى احتشدت بها قاعة المحكمة .

وبالرغم من حصول « إيفون » على براءتها إلا أنها اختارت أن تعاقب نفسها ، وبمرور عدة شهور عقب المحاكمة سافرت « إيفون » بصحبة طفليها إلى إحدى المستعمرات الفرنسية « غينيا الفرنسية » ، واستقرت هناك وسط أحراش الغابات والمستنقعات والبعوض ، حيث عملت كممرضة فى إحدى مستشفيات العلاج ، واستغرقت حتى النخاع فى هذه الوظيفة الجديدة .

وهكذا عادت « إيفون » من حيث بدأت عندما كانت تعمل داية فى إحدى المستشفيات تحت رئاسة طبيب شاب عندما بدأت علاقتها مع « بيير شفالييه » .